

المصير العظيم والاعمال اليومية

ان العام الذي خلا^(١) والأشهر الأخيرة منه بصورة خاصة، كانت أشهراً مليئة بالاحداث وبالعامل، وقد عاش العرب في هذه الآونة الأخيرة أياماً تاريخية أحسوا فيها بوجودهم احساساً عميقاً، كما أحسوا بالاحطار الجدية التي تهدد هذا الوجود. لقد برزت الامة العربية في الآونة الاخيرة على المسرح العالمي كقوة فتية جديدة مبدعة، اضطر العالم ان يحسب لها حساباً، وقسم من العالم استبشر بميلاد هذه القوة الجديدة المبدعة، وقسم آخر تشاءم وذعر وأخذ يعد العدة للتآمر والكيد. فنحن اذن أمام اصديقاء وأمام اعداء، وبالدرجة الاولى نحن أمام أنفسنا، قبل ان ننظر الى الاصدقاء او الى الاعداء. فاذا كان ثمة دواع كثيرة لان نتفائل بها حققناه في السنوات الاخيرة من تقدم ملموس في الوعي وفي النضال، فانه يوجد أيضاً ما يدعو الى القلق والخوف والحذر من شتى النواقص التي ماتزال تنتاب كياننا القومي، من عديد من الامراض الاجتماعية التي ماتزال تنخر في جسمنا القومي، من الثغرات العديدة التي هي وحدها المنفذ للخطر والاستعمار الخارجي. وكما ان الاستعمار واعداء العرب تنهوا ليقظة العرب وتقدمهم، فأخذوا يعدون لها مستوى اعلى من القآم، ووسائلهم - كما تعرفون - كثيرة وخبيثة، فواجب العرب ان يرتفعوا بمستوى وعيهم ونضالهم وواجب الشباب بصورة خاصة ان يستمدوا من طموح الشباب دافعاً للتجدد المستمر لكي لا يقنعوا بما ألفوه واعتادوه، ولكي يطلبوا دوماً المزيد والوصول الى الكمال.

اليوم نفتح أعيننا على حقيقة رائعة، وهي اننا بدأنا نشعر بوجودنا فعلاً، وبدأنا

(١) حديث ألقى في بدء السنة الدراسية بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٥٦.

ننظر مستقبلنا واضحاً بيناً مشرقاً، وبدأنا نتلمس رسالتنا في الحياة، وهذا يخلق فينا قوى جديدة واندفاعاً أكبر، ولكن هذا الشيء هو نفسه يشكل خطراً علينا ما دام في العالم قوى فاسدة تخشى الخير وتخشى التقدم، وتعتبر حياتنا رهناً بتأخر الشعوب الأخرى، وبعبودية الشعوب الأخرى. فإذا في نفس الوقت الذي اهتدينا فيه الى الطريق وشعرنا فيه بالقوة، تتعاضم الأخطار حولنا، من كل جانب، وتزدحم المصاعب والاشواك في طريق مستقبلنا. وهذا يرتب عليكم بصورة خاصة أن تعيدوا النظر لا في تفكيركم فحسب، وإنما في احساسكم ايضاً، في شعوركم بالحياة، في نفسيتمكم، وان تتجاوبوا حق التجاوب مع هذه الانتفاضة الجديدة، وأن لا تكتفوا بترديد الافكار والالفاظ، بل يجب ان تمتحنوها دوماً لتروا اذا كانت مليئة بالحياة أم فارغة وسطحية.

الشعب البسيط الذي وجهتم اليه انتم وأمثالكم من شباب العرب في كل قطر هذه الشعارات والافكار، دخلت الى نفوسه وأخصبت وأبنت حتى اثمرت البطولات التي شاهدتموها. وجدير بالشباب اذن، بالشباب الواعي المؤمن الا يتخلف عن الشعب البسيط. وهذا الشباب هو الذي ندب نفسه لتربية الشعب، ولكي يكون طليعته وقائده الى المصير العظيم. والمصير العظيم - ايها الاخوان - يتكون من الاعمال البسيطة والصغيرة، يتكون من سلوكنا اليومي. المصير العظيم للفرد وللامة، لا يهبط فجأة من السماء، وإنما هو نتيجة لاعمال صغيرة يومية تتراكم وتختمر وتوصل الى نتيجتها، وعندها يظهر المصير.

فاذا لم تعملوا يومياً وتكونوا مستلمين مراكزكم وقواعدكم في النضال، في النضال المنظم، فان الفرصة تأتي - وما أكثر الفرص للبطولات - وتفوتونها لأنكم أهملتم الاعداد وأستخفتم بالاعمال اليومية، وهذا ما يحسن بكم أن تذكروه في بدء هذا العام. فالعمل الحزبي مهمته ان يهيء بصمت وصبر وأستمرار لتلك الايام النادرة التي تتاح للأمة لكي تؤدي فيها امتحاناً، ولكي تظهر فيها ما اختزنته في أيامها العادية بفضل صبرها ونشاطها وتجردها.

هذا ما أحببت أن أقوله لكم: كلمة هي مقدمة لاجتماعاتنا المقبلة في هذا العام،

وكم من مرة قلت لكم بأنني أحب أن أجمع بكم وأن أتحدث اليكم، ولكن في نفس الوقت أشعر بالقلق من الكلام ومن الحديث خوفاً من شل رجولتكم وحيويتكم، خوفاً من أن تكتفوا بأن تكونوا مستمعين في الحياة بدلاً من ان تكونوا فاعلين وان تقوموا بدوركم البطولي، فالكلام سهل، والسماع - سماع الكلام - أسهل، وإذا لم يكن الكلام وسماع الكلام تمهيداً للعمل . . لعمل جدي، فإنه ضياع للوقت وخداع، والسلام عليكم .

كانون الاول ١٩٥٦